

سمات الجمال وأحوال المحبين

- الحسن من منظور عرى .
- رقة التشيب .
- قولهم في الغزل .
- التزين والطيب .
- ما يكسب حل المصائب وغيرها .
- ما يعزى المحبين من غول وشحوب .
- عند الوداع .

بين يدى هذا الباب

تُرى لو سئلت عن أحسن النساء - فى عصرنا - فماذا يكون جوابك ؟ .

وهل « مقاييس العصر » تلتقى مع تلك المقاييس التى تحدث عنها ابن عبد ربه ؟ .

وهل ترانا نجد فى إجابات الآخرين قدرا مشتركا تلتقى كلمتنا عليه ، إن وجهنا إليهم هذا السؤال ؟ .

وهل الحب أعمى ؟ والأمر قسمة ونصيب !! .

وإلى أى مدى تختلف وجهات النظر فى صفات الحسن ، وهل حقا للناس فيما يعشقون مذاهب ؟ .

● قيل لأعرابي : أتحسن صفة النساء ؟ قال :

إذا عذب ثناياها ، وسهل خداها ، ونهد ثدياها ، وفعم ساعداها والتف فخذها ، وعرض وركاها ، وجدل ساقاها ، فتلك هم النفس ومناها .

● وقالوا : أحسن النساء : الرقيقة البشرة ، النقية اللون ، يضرب لونها بالعداء إلى الحمرة ، وبالعشبي إلى الصفرة ! .

ويحدثنا ابن عبد ربه عن صفات الحسن التي هام بها الشعراء والمحبون وملئوا الدنيا تشبيها وغزلا رقيقا .. وتترأى لنا كما عبروا عنها مجتمعة في محبوبتهم فإذا هي : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ! .

ثم يحدثنا عن التزين والتطيب .. وحب الزينة - كما يقول الأستاذ العقاد في كتابه : « المرأة في القرآن » ... أصل من أصول الرياء يشاركها فيه الرجل في ظاهر الأمر ، ولكنه يخصها في جانب غير مشترك بينها وبين زينة الرجولة ؛ فإن الرجل يتزين ليعزز إرادته .

وإنما تتزين المرأة لتعزز إرادة غيرها في طلبها ! .

وليست الزينة التي تراد للإغراء بالقبول ؛ كالزينة التي تراد للإغراء بالطلب ؛ فإن الفرق بينهما هو الفرق بين :

الإرادة والانقياد ، وبين من يريد ، ومن ينتظر أن يُراد !! ولا يفوت ابن عبد ربه أن يحدثنا عما يكتب على العصائب من شعارات الحب والهيام .. وما يعترى المحبين من شحوب ونحول ..

وأخيرا يعرض علينا لحظات الوداع والفراق وما يصحبها من :
عبرات تبعث الأسى ... وأنفاس حارة ، ودموع دامية وخوف ألا يكون لقاء ... حيث يفتضح العاشق في يوم الرحيل !! ... عفوا إن كنت أطلت وأرجو ألا أكون قد أثقلت ! ولا أقول وداعا ، ولكن إلى لقاء في الباب القادم بعد أن تستمتع بهذا الباب ! .

★ ★ ★

صفات الحُسْن

الحسن كما يرونه :

أهو حمرة في صفرة ؟

عن أبي الحسن المدائني قال :

الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن (١) ، والتضمخ (٢) . بالطيب ، كما تضرب بيضة الإدحى (٣) ، واللؤلؤة المكنونة .

وقد شبه الله عز وجل في كتابه فقال :

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكَنُونٌ ﴾ (٤) .

وقال الشاعر :

كَأَن بَيْضَ نَعَامٍ فِي مَلَا حِفْهَا إِذَا اجْتَلَاهُن قَيْظُ لَيْلَةٍ وَمَد (٥)

لون ورد كسا البياض احمرارا

وقال آخر :

مروزي (٦) الأديم تغمره الصفرة حيناً لا يستحق اصفرارا
وجرى من دم الطبيعة فيه لون ورد كسا البياض احمرارا

(١) الكن : البيت وجمعه أكنان وأكنة ، والكن وقاء كل شيء وستره .

(٢) ضَمَخَ جسده بالطيب ليطحه به .

(٣) الأدحى : مبيض النعام في الرمل .

(٤) الصافات : ٤٩ .

(٥) الوَمد : محرقة الحر الشديد مع سكون الريح أوندى يجيء في صميم الحر من قبل البحر ويقال : ليلة وَمد ، وومدة . أو شدة حر الليل ، مع وجود رطوبة الجو .

(٦) ثياب مروزية : نسبة إلى مرو من بلاد فارس .

لقد أصبحت جميلا !

وقالت امرأة خالد بن صفوان (١) له :
لقد أصبحت جميلا ! فقال لها : وما رأيت من جمالى وما فى ردأ
الحسن ولا عموده ، ولا بُرنسه ؟ قالت : وكيف ذلك ؟ قال :
عمود الحسن : الشَّطَّاط (٢) ، وردأؤه : البياض ، وبرنسه : سواد
الشعر .

رقة البشرة وصفاء الأديم (٣) :

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة ، الصافى الأديم ، إذا خجل يحمرُّ ،
وإذا فَرِقَ يصفر .
ومنه قولهم : ديباج الوجه - يريدون تلونه .

حمرة خلطت صفرة فى بياض :

وقال عدى بن زيد يصف لون الوجه :
حمرة خلطت صفرة فى بياض مثل ما حاك حائك ديباجا (٥)
الحسن ... يرون فيه ألوان الشمس بالضحى ... والعرار بالعشى ...
والفضة والذهب والدر .. والعقيق ... والورد ! :

(١) خالد بن صفوان : من فصحاء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبد العزيز ، وهشام
ابن عبد الملك وله معهما أخبار . وجاء فى كتاب الأعلام للزركلى : إنه لم يتزوج .
(٢) الشَّطَّاط ؛ كسحاب وكتاب : الطول وحسن القوام واعتداله .
(٣) الأديم : الجلد .
(٤) الفرق : الخوف .
(٥) الديباج : حرير سميك .

وقال : إن الجارية الحسنة تلتون بلون الشمس ، فهي بالضحي
بيضاء ، وبالعشي صفراء .

وقال الشاعر :

بيضاء ضحوئها وصف ——— ——— ———
رأى العشي كالعرارة (١)

وقال ذو الرمة :

بيضاء صفراء قد تنازعها لوان من فضة ومن ذهب
ومن قولنا :

بيضاء يحمرُّ خداه إذا خجلت كما جرى ذهب في صفحتي ورق (٢)

ومن قولنا :

كم شادن (٣) لطف الحياء بوجهه فأصاره ورداً على وجناته

ومن قولنا :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله دُرّاً يعود من الحياء عقيقاً (٤)

ومن قولنا .

عقائل كالآرام (٥) أما وجوهها فدر ، ولكن الخدود عقيق

★ ★ ★

(١) العرار : بهاء البرّ . واحده عرارة ، وزهره أصفر طيب الرائحة ويقول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نحد فما بعد العشي من عرار
(٢) الورق : الفضة .

(٣) شدن الغزال فهو شادن إذا قوى وطلع قرنائه واستغنى عن أمه ويشبهون الفتاة بالغزال .

(٤) العقيق : هناك أنواع من العقيق كثيرة في ألوان بيضاء وسمرء وحمراء وزرقاء وهناك أنواع
تصيف حسب الطلب ، وهو من الأحجار الكريمة وكان المعروف لدى الشعراء الأحمر فراحوا يتغنون
بجماله ، والدر أبيض .

(٥) العقيلة من النساء الكريمة المخدرة (المصونة في خدورها) والآرام جمع رئم : الظبي الأبيض .

الجميلة من بعيد ... المليحة من قريب :

ومن قولهم في الجارية :

جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ؛ فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة على بعد ، فإذا دنت لم تكن كذلك .

والمليحة : التي كلما كررت فيها بصرك زادتك حسنا .
وقال بعضهم :

الجميلة : السمينة من الجميل ، وهو الشحم .

والمليحة : أيضا من الملحة ، وهو البياض .

والصبيحة : مثل ذلك ؛ يشبهونها بالصبح في بياضه .

★ ★ ★

قولهم في رقة التشيب (١)

● ومن الشعر المطبوع الذي يجرى مع النفس رقة ، ويؤدى عن الضمير
إبانة ، مثل قول العباس بن الأحنف :

وليلة ما مثلها ليلة	صاحبها بالسعد مفجوع
ليلة جئناها على موعد	نسرى وداعى الشوق متبوع
لما خبت نيرانها وانكفأ الـ	سامرُ عنها وهو مصروع ^(٢)

(١) لا نكاد نجد فرقا في الاستعمال اللغوي بين كلمات : الغزل ، والتشيب والنسيب فاللغويون يعرفون إحدى هذه الكلمات بالأخرى ، ومغازلة النساء محادثتهن ، وذكر محاسن المرأة في الشعر : وإذا كان الغزل في أصله حديثا إلى النساء فإن النسيب أن ينسب الشاعر إلى نفسه هوى مبرحا وحبا عنيفا وأن يتحدث عما يُنسب إلى المرأة من ديار وآثار ، أما التشيب فهو إبراز الصفات وتجليتها للعيون
(٢) انكفأ السامر : انصرف .

قامت تشنى وهى مرعوبة
حتى إذا ما حاولت خطوة
بكى وشاحاها على متنها
فانتبه الهادون من أهلها
ياذا الذى نمّ علينا لقد
لا تشغلينى أبدا بعدها
مابال خلخالك ذا خرسية
عاذلتى فى حجبها أقصرى

تَوَدُّ أَنْ الشَّمْلَ مجموع
والصدر بالأرداف مدفوع (١)
وإنما أبكاهما الجوع (٢)
وصار للموعد مرجوع
قلت ومنك القول مسموع
إلا ونمامك منزوع
لسان خلخالك مقطوع
هذا لعمرى عنك موضوع

● وفى معناه لبشار بن برد

سدى لا تأتِ فى قمر
وتوقّ الطيب ليلتنا إنه واشى إذا سطعا

● وله أيضا

يقولان لو عزيت قلبك لارعوى (٤) فقلت وهل للعاشقين قلوب !؟

● كثيرٌ وشعر جميل :

الأصمعى قال : سمع كثيرٌ عزةً منشداً ينشد شعر جميل بن معمر الذى
● يقول فيه :

ما أنت والوعد الذى تعدينى
تقضى الديون ولست تقضى عاجلا
إلا كبرق سحابة لم تُمطر
هذا الغريم ولست فيه بمُعسر
يالىتنى ألقى المنية بغتةً
إن كان يوم لقائكم لم يُقدر (٥)

(١) والصدر مدفوع بالأرداف والمراد بها العجز .

(٢) المتن : الظهر .

(٣) ليالٍ دُرْع : ثلاث ليل تلى البيض لاسوداد أوائلها ، وليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح .

(٤) ارعوى عن القبيح : ارتدع وأقلع عما كان فيه .

(٥) المنية : الموت .

يهواك ماعشت الفؤاد وإن أمت يتبع صداى صداك بين الأقبر (١)
فقال كثير :

هذا والله الشعر المطبوع (٢) ، ما قال أحد مثل جميل ، وما كنت
إلا راويةً لجميل (٣) ، ولقد أبقي للشعراء مثالا تحتذى عليه .

الفرزدق وشعر لابن أبي ربيعة :

وسمع الفرزدق رجلا ينشد شعر عمر بن أبي ربيعة الذى يقول فيه
وقالت وأرخت جانب الستر إنما معى فتحدث غير ذى رقية أهلى
فقلت لها : مالى لهم من ترقب ولكن سرى ليس يحمله مثلى
فقال الفرزدق :

هذا والله الذى أرادت الشعراء أن تقوله فأخطأته وبكت على الطلول (٤) .
وإنما عارض بهذا الشعر جميلا فى شعره الذى يقول فيه :
خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبل ؟
فلم يصنع عمر مع جميل شيئا ! .

● ولبشار بن برد :

ويح قلبى مابه من حبها ضاق من كتمانها حتى علن
لا تلم فيها وحسن حبها كل ما مرّت به العين حسن

(١) الأقبر : جمع قبر . والصدى رجع الصوت . ويقصد أن روحه سوف تتابع روحها ، وتظل
متعلقة بها .

(٢) الشعر المطبوع : غير المتكلف الصادر عن طبيعة الإنسان واتسم بالصدق .

(٣) الراوية : كان لكل شاعر راوية يحفظ شعره ويردده ويرويه وينشره .

(٤) الطلول : جمع طلل . ما بقى من آثار ديار المحبوبة . حيث كان اللقاء والأنس .

● وله :

كأنَّها روضة منورة تنفست في أواخر السحر
ولبشار ؛ وهو أشعر بيت قاله المولدون (١) في الغزل :
أنا والله أشتى سحر عينيـك وأخشى مصارع العشاق
● وله :

حوراء إن نظرت إليـك سقتك بالعينين خمرا
وكأنَّها برد الشـرا ب صفا ووافق منك فطرا
● ولأني نواس :

وذات خدٍّ مورَّد قوهيمة المتجرد (٢)
تأمل العين منها محاسنا ليس تنفد
فبعضه في انتهاء وبعضه يتولد
وكلما عدت فيه يكون في العود أحمد

● وله أيضا :

ضعيفة كـر الطرف (٣) تحسب أنها قريئة عهد في الإفاقة من سُقم

★ ★ ★

(١) المولَّدون : رجلٌ مولَّد عرَبِيٌّ غير محض ، وكلامٌ مولَّد كذلك . والمولَّد المحدث من كل شيء ، والمولدون من الشعراء أو الأدباء سموا بذلك لحدوثهم ، وذلك عندما اختلط العرب بغيرهم . نشأ جيل المولدين .

(٢) القوهيمة : ثياب بيضاء ، ويقصد بها بياض جسمها .

(٣) الطرف : العين ، وكر الطرف نظراته مرة بعد أخرى ، وفي القرآن : ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾ [الملك : ٤] . وفي الشطر الثاني حسن تعليل لما يبدو من ضعف نظراتها ؛ فكأنما هي قريئة عهد في الإفاقة من سُقم ومرض - إنه الحب .

قولهم في الغزل

● قال رجل لمحمد بن سيرين :

ما تقول في الغزل الرقيق يُنشده الإنسان في المسجد ؟ .
فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة ، وتقدم إلى المحراب ، فالتفت إليه ،
فقال :

وتَبْرُدُ بَرْدَ رِدَاءِ السَّعْرِ س في الصيف رقرقت فيه العبيرا
وتسَخُنُ لَيْلَةَ لَا يستطيع نباحا بها الكلبُ إلا هَرِيرًا (١)
ثم قال : الله أكبر .

● الحجاج وأبو هريرة :

وقال الحجاج :

دخلت المدينة فقصدت إلى مسجد النبي ﷺ فإذا بأبي هريرة قد أكَبَّ
الناس عليه يسألونه ، فقلت : هكذا ! افرجوا لي عن وجهه . فأفرج لي عنه .
فقال له : إني إنما أقول هذا :

طاف الخيلان فهاجا سقما خيالُ أروى وخيالُ تكتما
ثُرِيكَ وجهاً ضاحكاً ومعصماً وساعداً عَبْلًا (٢) وكفا أدرما
فما تقول فيه ؟ قال : لقد كان رسول الله ﷺ يُنشِدُ (٣) مثل هذا في
المسجد فلا ينكره .

(١) العبير : أخلاط من الطيب . والمهير : صوت الكلب أقل وأخفض من النباح لقلة صبره
على البرد ويقصد : أنها باردة الصيف . سخنة المشتى .
(٢) عَبْلًا : ضخمًا ممتلئًا ، وكفا أدرما : ناعما أملس ، لينا واره اللحم .
(٣) ينشد : أى يقال ويلقى في حضرته مثل هذا الشعر فلا ينكره كما سيأتى في أبيات الغزل التي
ألقاها كعب بن زهير في المسجد بين يديه ، وخلع برده عليه ، وعفا عنه .

كعب بن زهير بين يدي النبي *

ودخل كعبُ بن زهير على النبي ﷺ فمثل بين يديه وأنشده :

- بانت سعاد فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يُفد مكبولٌ (١)
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغنُ غضيضُ الطرفِ مكحولٌ (٢)
هيفاءُ مُقبلةٌ عجزاءُ مُدبرةٌ لا يُشتكى قصرٌ منها ولا طولٌ (٣)
فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها كما تَلَوُّ في أثوابها الغولُ (٤)

* كان واحدا من الشعراء الذين هجوا الرسول ﷺ ولكنه جاء تائبا فقبل الرسول توبته وأهداه برده .
(١) بانت : فارقت فراقا بعيدا . وسعاد : اسم امرأة . وقيل : هي امرأته وابنة عمه ، وقد خصها بالذكر لطول غيبته عنها ؛ لهروبه من النبي ﷺ بعد أن هجاه . ومتبول : أسقمه الحب وأضناه . ومتيم : ذليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر . ومكبول : مقيد . وهو يريد : أن محبوبته فارقت ، فصار قلبه في غاية الضنى والسقم والذل والأسر ، لا يجد من قيده فككا ، ولا يستطيع من سجنه خلاصا .

(٢) الأغنُ : الظبي الصغير الذى فى صوته غنّة ، وهى صوت يخرج من الخياشيم . والطرف النظر ، وغضيض الطرف : فاتره . ومكحول من الكحل (يفتح الحاء) وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال . شبه محبوبته وقت الفراق بالظبي الموصوف بغنة الصوت ، وغض البصر ، والكحل . وهى من صفات الجمال .

(٣) هيفاء : من الهيف (بتحريك الياء) وهو ضمور البطن ودقة الخاصرة . ومقبلة : حال وعجزاء : أى كبيرة العجز وهو الردف . إنه يصفها فى حالى إقبالها وإدبارها . لا يشتكى الراى عند رؤيتها قصرا فيها . وهو يريد : أن محبوبته يحسن منظرها فى كل حال ، فإذا أقبلت فهى هيفاء ، وإذا أدبرت فهى عجزاء ، وهى متوسطة بين الطول والقصر .

(٤) الغول : ساحرة الجن فى زعمهم . يزعمون أن الغول تُرى فى الصحراء بألوان شتى ، فتأخذ جانبا عن الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك . وهو يريد أن هذه المحبوبة لا تدوم على حال تكون عليها ، بل تتغير من حال إلى حال ، فتتلون بألوان شتى ، وترى فى صور مختلفة كما تتلون الغول فى أثوابها بألوان كثيرة .

ولا تَمَسُّكَ بالعهد الذى وعدت إلا كما يُمَسِّكُ الماء الغرايلُ (١)
 كانت مواعيدُ غُرُقُوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ (٢)
 فلا يَغُرَّتْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ إِنَّ الأمانى والأحلامَ تُضَيِّلُ (٣)

ثم خرج من هذا إلى مدح الرسول ﷺ فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألفاً .

● ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم ولاملك أقوامٌ ولوئهم ظلم
 وئمت عليك الكاشحون (٤) وقبل ذا عليك الهوى قد نم لو نفع النم
 فيا من لنفسٍ لا تموت فينقضى عَنَّاها ، ولا تحيا حياة لها طعم
 تجنبت إتيان الحبيب تأثماً (٥) ألا إن هجران الحبيب هو الإثم

● ومن شعر عروة بن أذينة ، وهو من فقهاء المدينة وعُبادها ، وكان من أرق الناس تشبيها :

قالت وأبشثها وجدى (٦) وبحت به قد كنت عندى تُحبُّ الستر فاستتر

(١) تَمَسَّكَ : أى تَمَسَّكُ . يشبه تمسكها بالعهد بامساك الغرايل للماء . مبالغة فى النكت والنقض وعدم الوفاء بالعهد ؛ لأن الماء بمجرد وضعه فى الغربال يسقط منه .

(٢) كانت : صارت . وغُرُقُوب (بضم العين) رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ، فضرب به المثل فى الخلف . والأباطيل جمع باطل .

(٣) ما مَنَّتْ : ما مَنَّتْكَ إياه وحملتكَ على تمنيه أو ما كذبت عليك فيه من الوصل ، وما وعدتكَ به من ترك الهجر ؛ فإن الأمانى التى يتمناها الإنسان والأحلام التى يراها فى المنام سبب فى الضلال ، وضياع الزمان .

(٤) الكاشحون : جمع كاشح وهو الذى يضمّر العداوة .

(٥) تأثماً : تحرجاً .

(٦) وجدى : حبى وفى رواية شجوى .

أَلَسْتُ تُبْصِرَ مَنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا غَطَى هَوَاكَ وَمَا أَتَّقَى عَلَى بَصَرِي (١)

● وقد وقفت عليه امرأة فقالت :

أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل :

إذا وجدتُ أوار (٢) الحب في كبدي غدوتُ نحو سقاء الماءِ أبرد
هبنى بردت ببرد الماءِ ظاهره فمن لنارٍ على الأحشاء تنقذُ ؟
والله ما قال هذا رجل صالح ؛ .

وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله ؛ بل لم يكن مرثيا ، ولكنه كان
مصدورا فنفت (٣) .

● ومن قول عبد الله بن المبارك (٤) ، وكان فقيها ناسكا شاعرا رقيق
النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سألت جارتها وتعرت ذات يوم تبترد (٥)
أكما ينعتنى تبصيرئني عَمَرُ كُنَّ اللهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ (٦)
فتضاحكن وقد قلن لها حسنٌ في كلِّ عينٍ من تود (٧)
حسداً حملته من شأنها وقديماً كان في الحب الحسد

● وقال شرح القاضى وكان من جلة التابعين والعلماء المتقدمين ،
استقصاه (٨) على رحمه الله ومعاوله ، وكان يزوج امرأة من بنى تميم تسمى زينب

(١) غطى هواك ... أى ستر حتى لك كل شيء عني فلا أرى غيرك .

(٢) أوار الحب : حره ولهيه ! .

(٣) يقصد أنه أخرج ما كان يعانى منه في صدره ، وصرح بما يعانيه .

(٤) الأبيات للشاعر القرشي عمر بن أبى ربيعة زعيم الغزليين وقد مات سنة ٩٣ هـ المنتخب
من أداب العرب وليس كما يقول صاحب العقد وأول القصيدة :

ليت هندا أنجزتنا ما تعدد وشففت أنفسنا مما نجد

(٥) تبرد : تصب الماء البارد على رأسها .

(٦) ينعتنى : يصفنى ، وعمرُ كُنَّ الله : أى أذكرُ كُنَّ الله . يقصد : يعتدل فلا يبالغ .

(٧) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

(٨) استقصاه : ولاه القضاء .

فنقم عليها فضربها ، ثم ندم فقال :

رأيت رجالا يضربون نساءهم فشئت يميني يوم أضرب زينبا
أضربها من غير ذنب أتت به فما العدل مني ضرب من ليس أذنباً؟
فرينب شمس والملوك كواكب إذا برزت لم تبعد منهن كوكبا (١)

★ ★ ★

لبعض الأعراب :

● ذكر أعرابي امرأة فقال :

لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفي كل عضو منها شمس
طالعة (٢) ! .

● وذكر أعرابي امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ماتم منها ،
وما نقص منه ! .

● وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير : والله ما رأيت دمعة تفرق
من عين بإثم (٣) على ديباجة خد ، أحسن من عبرة أمطرتها عينها ، فأعشب
لها قلبي ! .

● وقال : سمعت أعرابيا يقول : إن لي قلبا مروعاً ، وعينا دموعاً ؛
فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما
شفأؤهما !!؟

(١) هذا البيت مأخوذ من قول النابغة الذبياني للنعمان في الاعتذار والمدح
فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(٢) مشرقة ومتألقة .

(٣) الإثم : عنصر معدن يكتمل به (الكحل) .

● وقال أعرابي : دخلت البصرة فرأيت أعينا دعجاً^(١) ، وحواجب زجاً^(٢) ، يسحب الثياب ، ويسلبن الألباب .

● وذكر أعرابي امرأة فقال :

خلوت بها ليلة يزينا القمر ، فلما غاب أرتنيه . قلت له :

فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ما أحل الله مما حرم : الإشارة بغير باس والتقرب من غير مساس .

● وذكر أعرابي امرأة فقال : هي أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .

● قال : وسمعت أعرابيا يقول :

ما أشد جولة الرأى عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا^(٣) ، ولقد تقطعت كبدي للعاشقين ، لوم العاذلين قرطة^(٤) في آذانهم ، ولوعات الحب جبرات على أبدانهم ، مع دموع على المغاني ، كغروب السواني^(٥) .

● وذكر أعرابي امرأة فقال :

لقد نعمت عين نظرت إليها ، وشفى قلب تضجع عليها ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فيرحب بي طرفها^(٦) ، ويتجهمني لسانها . قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ .

(١) الدّعج : جمع دعجاء ، وهي شديدة السواد مع سعتها .

(٢) الزّج : الدقيقة ، ويقول الشاعر : « وزججن الحواجب والعيونا » والزّجاء : الدقيقة الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما مُحطاً بقلم .

(٣) الصّبا : الشوق والعشق والهيام في الحب .

(٤) ما يعلق في شحمة الأذن جمع قُرط .

(٥) المغاني جمع مغنى منزل المحبين حيث يجد الإنسان المحب ما يغنيه عن كل الدنيا والقُروب :

جمع غُرب وهو الدلو ، والسواني جمع سانية وهي ما سقى عليه من بعير وغيره .

(٦) كما يقول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها	إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال : مرحبا	وأهلا وسهلا بالحييب المتيم
أو كما يقول آخر : لسانى عليه	وقلبنى معه

قال : إني ذاكر لها وبينى وبينها عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ريح المسك .

● وذكر أعرابي نسوة خرجن متنزهات ، فقال :

وجوه كالدنانير ^(١) ، وأعناق كأعناق اليعافير ^(٢) ، وأوساط كأوساط الزناير ، أقبلن إلينا بحجول ^(٣) تخفق ، وأوشحة ^(٤) تعلق ، وكم أسير هن ؟ وكم مطلق ؟ .

● قال : وسمعت أعرابيا يقول : اتبعت فلانة إلى طرابلس الشام ، والحريص جاحد ، والمضل ناشد ، ولو خضت إليها النار ما ألتها .

● قال :

وسمعت أعرابيا يقول :

الهوى هوان ، ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف من يقول : من أبكته المنازل والطلول .

● وقال أعرابي :

كنت في الشباب أعض على الملام ، عَضَّ الجواد على اللجام ، حتى أخذ الشيب بعنان شبابي .

● وذكر أعرابي امرأة فقال :

إن لساني لذكرها لذلول ، وإن حبها لقلبي لقتول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

(١) جمع دينار ، ويشبهها بها في الاستدارة واللمعان .

(٢) اليعافير : جمع يَغْفُور ، وهو الطنبى بلون التراب أو عام . وقد تضم الياء .

(٣) الحجول : جمع حجل . الخُلخال . وفي القرآن : ﴿ ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين ﴾

من زيتنهن ﴿

(٤) الأوشحة : جمع وشاح . أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها .

- ووصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال فقال :
- كلامهن أقتل من النبل ، وأوقع بالقلب من الوبل بالخل (١) ،
فروعهن (٢) أحسن من فروع النخل .
- ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذلفاء ، ومعها صبي
يكي ، فكلما بكى قبلته ، فأنشأ يقول :
- ياليتنى كنت صبيا مرضعا تحملنى الذلفاء حولا أكتعا (٣)
إذا بكيت قبلتنى أربعا فلا أزال الدهر أبكى أجمعا
- العتبي قال : وصف أعرابي امرأة حسناء فقال :
- تبسم (٤) عن خمش اللثا ، كأقاحى النبات ، فالسعيد من ذاقه ،
والشقى من راقه .
- وقال العتبي : خرج ليلة حين انحدرت النجوم ، وشالت
أرجلها ، فمازلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر فإذا بجارية كأنها علم ،
فجعلت أغازلها ، فقالت :
- يا هذا أمالك ناه من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله
ما يرانى إلا الكواكب ، قالت : فأين مكوكبها ؟!
- ذكر أعرابي امرأة فقال :
- هى السقم الذى لا برء معه ، والبرء الذى لا سقم معه وهى أقرب من
الحشا ، وأبعد من السما .

(١) الوبل بالخل : المطر بالأرض الجدباء .

(٢) يقصد الضفائر .

(٣) كاملا .

(٤) تبسم أى تبسم فحذفت ناؤه تخفيفا على المتكلم . والثلاث جمع لثة . والأقاحى جمع
أقحوان : نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان واحده أقحوانة .

● وقال أعرابي - وقد نظر إلى جارية بالبصرة في مأتم - :

بصرية لم تبصر العين مثلها غدت بياض في ثياب سواد
غدوت إلى الصحراء تبكين هالكا فأهلك حيا، كنت أشأم عاد (١) !
فيارب خذ لي رحمة من فؤادها وحل بين عينيها وبين فؤادي

● وقال في جارية ودعها :

مالت تودعني والدمع يغلبها كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهي باكية ياليت معرفتي إياك لم تكن

● العتبي قال : أنشد أعرابي :

يازين من ولدت حواء من ولد لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب
أنت التي من أراه الله صورتها نال الخلود فلم يهرم ولم يشب
● وأنشد الرياشي لأعرابي :

من دمنة خلقت عيناك في هتن فما يرد البكا جهلاً من الدمن (٢)
ماكنت للقلب إلا فتنة عرضت يا حبذا أنت من معروضة الفتن
تسئ سلمى وأجزئها به حسناً فمن سواي يجازي السوء بالحسن ؟

● قال : وسمعت أعرابيا يصف امرأة فقال :

بيضاء جعدة ، لا يمس الثوب منها إلا مشاشة (٣) كتفها ، وحلمتي
ثديها ، ورضفتي ركبتها ، ورانفتي أليتيها ، وأنشد :

(١) أشأم عاد : الأشأم الذي يأتي بالشؤم . وأشأم عاد كان سببا في هلاك قومه عاد ،
وشؤمهم .

(٢) الدمنة بقية الماء في الحوض . وعين هتون : تصب الدمع .

(٣) المشاشة رأس العظم اللين .

(٤) الرضفة عظام في الركبة كالأصابع المضمومة .

أبت الروادفُ والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدةً وهجنَ غيورا
● وقال أعراني :

ليت فلانة حظى من أملى ، ولرب يوم سرته إليها حتى قبض الليل
بصرى دونها ، وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفى من الظمأ .
● وذكر أعراني امرأة فقال :

تلك شمس باهت الأرض شمس سمائها ، وليس لى شفيع فى
اقتضاءها (١) ، وإن نفسى لكتوم لدائها ، ولكن تفيض عند امتلائها .
أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

وياشمس أرضيها التى تم نورها فباهت بها الأرضون شمس سمائها
شكوت وما الشكوى لمثلى عادة ولكن تفيض النفس عند امتلائها
● وقيل لأعراني :

ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال :
نعم . كان الحب فى القلب ، فانتقل إلى المعدة ، إن أطعمته شيئا أحبا
وإلا فلا .

وكان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حولا (٢) ، ويفرح إن رأى
من رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا ، وتناشدا الأشعار ، وإنه ليوم يشير
إليها وتشير إليه ، ويعدها وتعهده ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبا ، ولم ينشدا
شعرا ، ولكن يعاشرها ويطلب الولد .

(١) اقتضاءها : طلبها .

(٢) يظل العام كله يطوف بيتها ، وكان هذا يكفيه منها ويفرحه أن يرى من يراها وكذلك شأن
الحبين فهذا جميل يقول :

وإنى لأرضى من بئنة بالذى لو أبصره الواشى لفرّث بلابله
بالمنى ، وبألا أستطيع . وبالأمل المرجو خاب آمله

● وقال أعرابي :

شكوت ! فقلت ، كل هذا تبرما
فلما كتمت الحب قالت : لشدما
وأدنو فتقصيني ، فأبعد طالبا
فشكواى تؤذيها ، وصبرى يسوؤها
فيا قوم هل من حيلة تعلمونها
بحبى أراح الله قلبك من حبي
صبرت ! وما هذا بفعل شجى القلب
رضاها ، فتعتد التباعد من ذنبى
وتجزع من بعدى ، وتنفر من قرى
أشيروا بها واستوجبوا^(١) الشكر من رى

التزين والتطيب

● دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين والتطيب فوجده
قاعداً على حشايا مصبغة ، وجارية تغلله بالغالية^(٢) فقال له .
يرحمك الله ، جئت أسألك عن شئ فوجدتك فيه ! .
قال : على هكذا أدركت الناس .

● وفى حديث : أن النبى ﷺ قال : إياكم والشعث ، حتى لو لم يجد
أحدكم إلا زيتونة فليعصرها وليدهن بها .

● وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة :

« مالى أراك شعثناء ، مرهء ، سلتاء ؟ » .

قالت : يارسول الله أولسنا من العرب ؟

قال : « بلى ، ربما أنسيت العرب الكلمة ، فيعلمنيها جبريل » .

الشعثناء : التى لا تدهن .

والمرهء : التى لا تكتحل .

(١) ولكم الشكر جزاء من ربكم على حسن صنعكم .

(٢) الغالية : أخلاط من الطيب ، وتغلبت بالغالية وتغللت إذا تطيبت بها . والحشايا : جمع حشية وهى ما يجلس عليه .

والسلاء : التى لا تختضب .

● وقال ﷺ :

« ما نلتُ من دنياكم إلا النساء والطيب » .

● وروى مالك عن يحيى بن سعيد ، أن أبا قتادة الأنصارى قال
يارسول الله ، إن لى جمعة (١) ، أفرجلها يارسول الله ؟ .

قال : « نعم وأكرمها » .

قال : فكان أبو قتادة ربما دهنها فى اليوم مرتين .

★ ★ ★

(١) الجمعة من الإنسان : مجتمع شعر ناصيته . يقال : هى التى تبلغ المنكين . والجمم : جمع .
مثل غرفة وغرف .

ما يكتب على العصائب وغيرها

ظلمتى فى الحب يا ظالم !

- أبو الحسن قال : دخلت على هارون الرشيد ، وعلى رأسه جوار كاتماثيل ، فرأيت عصاية منظمة بالدر والياقوت مكتوبا عليها بصفائح الذهب :
ظلمتى فى الحب يا ظالم والله فيما بيننا حاكم
- قال : ورأيت على عصاية أخرى :
وضع الخد للهوى عزُّ

- قال : ورأيت فى صدر أخرى هلالا مكتوبا عليه :
أفلتُ من حور الجنان وخلقت فتنةً من يرانى
- قال إسحق بن إبراهيم :

دخلت على الأمين محمد بن زبيدة ، وعلى رأسه وصائف فى قراطق (١)
مفروجة بيد وصيفة منهن مروحة مكتوب عليها :

فى طاب العيش فى الصد	فى وفى طاب السرور
ممسكى ينفى أذى الحـ	ر إذا اشتد الحرور (٢)
الندى والجود فى وجـ	ه أمين الله نور (٣)
ملك أسلمه الشـ	به وأخلاه النظير

● وفى عصاية :

ألا بالله قولوا يا رجال أشمسُ فى العصاية أم هلال

(١) قراطق : جمع قرطق وهو القباء أشبه ب (الروب) . والوصائف جمع وصيفة .

(٢) الحرور : حر الشمس .

(٣) الندى : الكرم والعطاء .

● في أخرى :

أتهوون الحياة بلا جنون فكفوا عن ملاحظة العيون
● وكتبت ورد جارية الماهانسي على عصابتها ، وكانت تحيد الغناء مع فصاحتها وبراعتها :

تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما سواها محال
للناس في الشهر هلال ولى في وجهها في كل يوم هلال

● وكتبت في عصابتها بيتين من شعر الحسن بن هاني وهما :

يا راميا ليس يدرى ما الذى فعلا عليك عقلى فإن السهم قد قتلا (١)
أجريته في مجارى الروح من بدنى فالنفس في تعب والقلب قد شغلا

● قال على بن الجهم :

خرجت علينا عالج جارية خالصة كأنها خوط بانٍ وهى تيس في رقة ،
وعلى طُرُتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مجان أهل بغداد مع علمها بالغناء :

ياهللا من القصور تجلسى صام طرفى لمقلتيك وصلّى
لست أدري ليلي أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلّى (٢)
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعى النجوم كنت محلا

● قال : وخرجت إلينا منال وعليها درع خام على جانبه الأيمن
مكتوب :

كتب الطرف في فؤادى كتابا هو بالشوق والهوى مختوم
وعلى الأيسر مكتوب :

كأن طرفى على فؤادى بلاء إن طرفى على فؤادى مشوم

(١) العقل : الدية .

(٢) يتقلّى : يكره النوم ولا يطيقه ، ويتقلب في فراشه .

● قال : وكان ، على عصابة ظبي جارية سعيد الفارسي مكتوب بالذهب :

العين قارئة لما كتبت في وجنتي أنامل الشجن (١)
وقال : وحدثني الحسن بن وهب قال : كتبت شعب على قلنسوة جاريتهما شكل :

لم ألق ذا شجن يروح بحبه إلا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وإنني بك واثق ألا ينال سوى منك نصيبا

● وكتب شفيع خادم المتوكل على عاتق قبائه الأيمن :
بدر على غصن نضير شرقُ الترائب بالعبير (٢)
وعلى عاتقه الأيسر :

خطت صحيفة وجهه في صفحة القمر المنير
● وكتبت وصيف جارية الطائي على عصابتها :

فما زال يشكو الحب حتى حسبته تنفس في أحشائه وتكلما
فأبكي لديه رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعا بكيت له دما

● وكان على عصابة مزاج وهي من مواجن أهل بغداد وفتاكها :
قالوا عليك دروع الصبر قلت لهم هيات إن سبيل الصبر قد ضاقت
ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقا
● وكتبت عنان جارية الناطفي على عصابتها :

الكفر والسحر في عيني إذا نظرت فاغرب بعينيك يا مغرور عن عيني
فإن لي سيف لحظ لست أغمدته من صنعة الله لا من صنعة القَيْن

(١) الشجن : الحزن والهم .

(٢) يفوح العبير من ترائب . والترائب جمع تريبة وهي العظمة من الصدر . أعلاه والعبير :
أنخلاط من الطيب .

● وكتبت حداثق فى كفها بالحناء :

ليس حُسن الخضاب زين كفى حُسن كفى زينٌ لكل خضاب

● قال وخرجت علينا جارية حمدان ، وقد تقلدت سيفاً محلى ، وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها :

تأمل حسن جارية يحار بوصفها البصر
مذكورة مؤنثة فهى أنثى وهى ذكر

● وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب :

لم يكفه سيف بعينه يقتل من شاء بحديه
حتى تردى مرهفا صارما فكيف أبقى بين سيفيه (١)
فلو تراه لابسا درعه يخطر فيها بين صفيه
علمت أن السيف من طرفه أقتل من سيف بكفيه (٢)

● وكتبت واجد على منطقة جارتها منصف الكوفية :

وفؤادى رق حتى كاد من صدرى ينسل
بعض ماى يصدع القلب سب فما ظنك بالكل

● ومن قولى فيما كتبت على كأس مذهبة :

اشرب على منظر أنيق وامزج بريق الحبيب ريقى
واحلل وشاح الكعاب رفقا واحذر على خصرها الدقيق (٣)
وقل لمن لام فى التصاى إليك خلى عن الطريق

● وقف صريع الغواني بباب محمد بن منصور ، فاستسقى ، فأمر

(١) تردى : ارتدى وليس .. والمرهف الصارم : السيف القاطع .

(٢) السيف من طرفه : نظرات عينيه .

(٣) الكعاب : من نهد ثدياها وأصبحت ناضجة .

وصيفاً له فأخرج إليه خمرًا في كأس مذهبة ، فلما نظر إليها في راحته قال :

ذهب في ذهب را	ح بها شخصن لجين (١)
فأنت قرّة عيني	من يدى قرّة عين
قمر يحمل شمساً	مرحباً بالقمرين
لا جرى بيني ولا	بينهما طائر بين
وبقينا ما بقينا	أبداً متفقين
في غبوق وصبح	لم نبغ نقداً بدين (٢)

● محمد بن إسحاق قال : حدثني أحمد بن عبد الله قال : رأيت على مروحة مكتوباً :

الحمد لله وحده	وللخليفة بعده
وللمحب إذا ما	حبيه بات عنده

● وقال : ورأيت في مجلس سريرا مكتوباً عليه بالذهب :

أشهى وأعذب من راح ومن ورد	إلفان قد وضعاً خدّاً على خد (٣)
وضم أحدهما أحشاء صاحبه	حتى كأنهما للقرب في عقد
هذا ييوح بما يلقاه من حزن	وذاك يظهر ما يخفى من الوجد

● وفي عصابة أخرى :

وإن يحجبوها بالنهار فمن لهم بأن يحجبوا بالليل عنى خيالها

لعن الله من عذر !!

● قال أبو عبيدة : ورأيت جارية على جبينها مكتوباً :

كتبت في جبينها بعير على قمر (٤)

(١) اللجين : الفضة .

(٢) الغبوق والصبح : شراب المساء وشراب الصباح .

(٣) الراح : الخمر .

(٤) العبير : أخلاط من طيب وعطور .

في سطور ثلاثة لعن الله من عذر
وتناولت كفها ثم قلت اسمعي الخير
كل شيء سوى الحياء نة في الحب يغتفر

لا تدعني موسوسة

● قال الأصمعي : رأيت على باب الرشيد وصائف (١) على عصاة
واحدة منهم مكتوبا :

نحن حورٌ نواعم من أراضي مقدسة
أحسن الله رزقنا ليس فينا مُنجسة (٢)
فاتق الله يا فتى لا تدعني موسوسة

قولهم في النحول

قال عمر بن أبي ربيعة (٣) القرشي : يصف نحول جسمه وشحوب لونه
في شعره الذي يقول فيه :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشى فيخضر
أخا سفرٍ جواب أرضي تقاذفت به فلوات (٤) فهو أشعث أغبر
قليلاً على ظهر المطية شخصه خلا ما نفى عنه الرداء المحير

وفي هذا المعنى يقول :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأثُور (٥)

(١) وصائف : جمع وصيفة .

(٢) منجسة تنحس من يعاشرها ، ويقصدن أنهن مُسعدات لمن يقبل عليهن .

(٣) شاعر غزل مفتون بالنساء ، وصاف لهن ، حبيب إليهن ، لا يمدح سواهن .

(٤) فلوات : جمع فلاة : الصحراء .

(٥) شبت : أوقدت . أثُور : نيران جمع نار . إن شئت هزئت وإن شئت لم تهمز .

- وغاب قمير كنت أرجو غيوبه
وخفض عني الصوت أقبلت مشية الـ
فحييت إذ فاجأتها فتلهفت
وقالت - وعضت بالبنان - فضحتني
أريتك إذ هنا عليك ألم تخف
فو الله ما أدري أتعجيل حاجة
فقلت لها: بل قاذي الشوق والهوى
فيالك من ليل تقاصر طوله
وبالك من ملهى هناك ومجلس
يمج ذكي المسك منها مفلج
وترنو بعينها إلى كإرنا
- وروح رعيان ونوم سمر (١)
حجاب وشخصي خيفة القوم أزور (٢)
وكادت بمكتوم التحية تجهر (٣)
وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر (٤)
رقيبا وحولى من عدوك حضر (٥)
سرت بك أم قد نام من كنت تحذر (٦)
إليك وماعين من الناس تنظر
وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
لنا لم يكدره علينا مكدر
رقيق الحواشي ذو غروب مؤثر (٧)
إلى ريرب وسط الخميلا جؤذر (٨)

- (١) قُمير : تصغير قمر ؛ لأنه كان غير تام ، ويكون ذلك أول الشهر وآخره . رَوْح : ذهب
عشية . رعيان : رعاة : جمع راع . سَمَر : جمع سامر ، وهم الجماعة يتحدثون ليلا .
(٢) الحجاب : الحية . أزور : مائل منحرف . ويروى : ونفضت عني العين مكان وخفض عني
الصوت . والمعنى : احترست من العين وأمنتها . ومنه النفضة جمع نافض وهم الجماعة يبعثون في الأرض
لينظروا أفيها عدو أم لا ؟ .
(٣) ويروى فتولت . بدلا من تلهفت . تحيرت وجزعت . ويمكنون بدلا من بمكتوم .
(٤) ميسور أمرك : السهل منه - والفعل يسر . أعسر : صعب والفعل عسر بضم السين .
(٥) أريتك وأريتك بمعنى أخبرني .
(٦) تتساءل عن سر مبادرته بالجيء .
(٧) يمج : محج الشراب من فيه رمى به وبابه رد ، والمراد أن لفها شذا ذكيا . مُفْلَج : الفلج
في الأسنان تباعد ما بينها ، وفلج من باب طرب . والحواشي : الجوانب جمع حاشية ، والغروب جمع
غرب ، وهو حد كل شيء ومنه غرب السيف واللسان . والمراد أن أسنانها رقيقة محدة . مؤثر : محرز ،
ويكون ذلك في الحداثة .
(٨) ترنو : تديم النظر مع سكون الطرف . الريرب : القطيع من البقر الوحشي ، والخميلا :
الموضع يكثر فيه الشجر . والجؤذر بضم الذال وتفنع ولد البقرة الوحشية . يصف هيئة نظرها إليه
في موضع تقر فيه العيون ؛ حيث الظل والسكنية .

يرف إذا تفتّر عنه كأنه
فلما تقضى الليل إلا أقله
أشارت بأن الحى قد حان منهم
فلما رأت من قد تتور منهم
فقلت : أباديهم فإما أفوتهم
فقلت : أتحيقنا لما قال كاشح
فإن كان ما لا بد منه فغيره
أقص على أختي بدء حديثنا
لعلهما أن تبغيا لك مخرجاً
فقلت لأختيها : أعينا على فتى
فأقبلنا فارتاعنا ثم قالتا :
يقوم فيمشى بيننا متكررا
فكان مجنى دون من كنت أتقى
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى

حصى بردٍ أو أقحوانٍ منور (١)
وكادت توالى نجمه تنغور (٢)
هبوبٌ ولكن موعدك لك عزور (٣)
وأيقاظهم قالت: أشر كيف تأمر (٤)؟
وإما ينال السيف ثاراً فيثأر (٥)
علينا وتصديقاً لما كان يؤثر (٦)
من الأمر أدنى للخفاء وأستر (٧)
ومالى من أن تعلمنا متأخر
وأن ترجبا صدرأ بما كنت أحصر (٨)
أق زائرا والأمر للأمر يقدر
أقلى عليك اللوم فالأمر أيسر
فلا سرنا يفسو ولا هو يظهر (٩)
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر (١٠)
ألم تتق الأعداء والليل مقمر ؟

- (١) يرف : يبرق ويتلألأ من رفيف البرق . يفتّر : يضحك ضحكا حسنا . الأقحوان : البابونج . وهو نبت طيب الرائحة حوائيه ورق أبيض ووسطه أصفر والجمع أقاحى .
(٢) التوالى : التتابع . تنغور : تغور فتذهب .
(٣) عزور : موضع قرب مكة .
(٤) تنور : ثار وتحرك . الأيقاظ : جمع يقظ .
(٥) أباديهم : بادى بالعداوة : جاهر بها .
(٦) أتحيقنا : أى أنفعل هذا تحقيقا . الكاشح : الذى يضم لك العداوة .
(٧) أدنى للخفاء : أقرب إلى الستر والتخفى .
(٨) نرجبا صدرأ : يتسع صدرهما أحصر : أضيق . أى بما كان يضيق به صدرى .
(٩) سقط بيت يقول فيه الشاعر قبل هذا البيت :
فقلت الصغرى سأعطيه مطرفى
ودرعى وهذا البرد إن كان يحذر
والمطرف بضم الميم وكسرهما واحد المطارف وهى أردية (نلبس فوق الثياب) من خز مربعة لها
أعلام . درعى : قميصى مذكر . وأما درع الحديد فمؤنثة والبرد : ثوب محطط .
(١٠) مجنى : ثرى . ثلاث : ذكر اسم العدد لأنه أراد ثلاث فتيات كما بينه بالبدل . الكاعب :
التي نهت ثديها . والمعصر التي بلغت شبابها وأدركت أو التي راهقت العشرين . وانفعل أعصر .

وقلن : أهذا دأبك الدهر سادراً أمانتستحي؟ أما ترعوى؟ أم تفكر^(١)؟

● ويروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة ، اعترض الناس ، فمر به رجل من أهل الشام معه ترس قبيح ، فقال : يا أخا أهل الشام ، مجن ابن أئى ربيعة كان أحسن من مجنك هذا ! .
يريد قول عمر بن أئى ربيعة .

فكان مجنى دون ماكنت أتقى ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر
● وقال أعرأى فى النحول :
ولو أن ما أبقيت منى معلق بعود ثمام^(٢) ما تأود عودها
● وقال آخر

إن تسألونى عن تباريح الهوى فأنا الهوى وابو الهوى وأخوه
فانظر إلى رجل أضر به الأسى لولا تقلب طرفه دفنوه^(٣)
● وقال مجنون بنى عامر فى النحول :

ألا إنما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب
● وللحسن بن هانى :

كما لا ينقضى الأرب	كذا لا يفتر الطلب
ولم يبق الهوى إلا	أقلى وهو محتسب
سوى أئى إلى الحيوا	ن بالحركات أنتسب

★ ★ ★

(١) السادر : الذى لا يهتم ولا يبألى ما صنع ! ويرعوى : ينزجر ويعتبر .
(٢) الثام كغراب : نبت . وتأود : مال وانعطف . يقول : إن الحب لم يبق منه إلا ما لو علق بعود ثمام لم يمل .
(٣) وهذا لولا تحرك عينه لظنوا أنه مات ودفنوه .

● وقال آخر وهو خالد الكاتب :
هذا محبك نضو لا حراك به
لم يبق من جسمه إلا توهمه^(١)

● ومن قولنا في هذا المعنى :
سبيل الحب أوله اغترار
وآخره هموم وادكار
ومثله من قولنا :

لم يبق من جسمانه
إلا حشاشة مبثس^(٢)
قد رق حتى ما يُرى
بل ذاب حتى ما يحس

● وقال الحسن بن هانئ في هذا المعنى فأرى على الأولين والآخرين :
يامن تموت عمداً
فكان للعين أملى
وفي الشعوثة أرى
فكان أشهى وأحلى
أردت أن تزدريك
العيون هيات كلا
يا عاقد القلب منى قليلا
من القليل أقللا
يكاد لا يتجزأ
أقل في اللفظ من لا

● ولأبى العتاهية :
تلاعبت بي يا عتَبَ ثم حملتني
على مركب بين المنية والسقم
ألا في سبيل الله جسمي وقوتي
ألا مسعد^(٣) حتى أنوح على جسمي ؟
● وله :

لم تبق منى إلا القليل وما أحسبها تترك الذي بقيا

★ ★ ★

(١) النضو : المهزول من الإبل وغيرها .

(٢) الحشاشة : بقية الروح في جسم المريض .

(٣) مُسْعِدٌ : مساعِدٌ . وعُتِبَ منادى مُرَحَّم (حذف آخره) وعتبة جارية كان أبو العتاهية يحبا
ولم تكن تبادلها حبا بحب وكانت جارية لرقيقة بنت أبي العباس السفاح .

في التوديع :

ابن حميد وجارية له :

● قال سعيد بن حميد الكاتب وكان على الخراج ^(١) بالرقعة : ودعت جارية لي تسمى « شفيعا » وأنا أضحك وهي تبكي ، وأقول لها :

إنما هي أيام قلائل ! قالت : إن كنت تقدر أن تخلف مثل شفيع فنعم ! فلما طال بي السفر ، واتصلت بي الأيام ، كتبت إليها كتابا ، وفي أسفله : ودعتها والدمع يقطر بيننا وكذاك كل ملذع بفراق شغلت بتفويض ^(٢) الدموع شملها ويمينا مشغولة بعناق

قال : فكتبت إلى في طومار ^(٣) كبير ليس فيه إلا . بسم الله الرحمن الرحيم في أوله ، وفي آخره ياكذاب ، وسائر الكتاب أبيض .

قال : فوجهت الكتاب إلى ذى الرياستين : الفضل بن سهل وكتبت إليها كتابا على نحو ما كتبت ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم في أوله ، وفي آخره أقول :

فودعتها يوم التفرق ضاحكا إليها ولم أعلم بأن لا تلاقيا فلو كنت أدري أنه آخر اللقاء بكيت وأبكيْتُ الحبيب المصافيا

قال : فكتبت إلى كتابا آخر ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم في أوله ، وفي آخره :

(١) الخراج : ما يحصل من غلة الأرض وقد أطلق على الجزية ، وعامل الخراج من يتول تحصيله .

(٢) تفويض الدموع : مسحها .

(٣) طومار : قال في القاموس : الطامور والطومار الصحيفة جمعه طوامير

أعيزك بالله أن يكون ذلك ! فوجهته إلى (ذى الرياستين الفضل بن سهل) ، فأشخصنى إلى بغداد ، وصيرنى إلى ديوان الضياع .

ابن يحيى وجاريتان

● محمد بن يزيد الربعى عن الزبير عن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل قال : إنه لما نفاه المتوكل إلى جزيرة أقریطش ؛ فطال مقامه بها ، تمتع بحارية رائعة الجمال ، بارعة الكمال ، فأنسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتديريها ، وكان قبل ذلك متيماً (١) بجارية خلفها بالعراق فسلا (٢) عنها ؛ فبينما هو مع الإقریطشية فى سرور وحبور يخلف لها ألا يفارق البلد ما عاش ، إذ قدم إليه كتاب جاريته من العراق وفيه مكتوب :

كيف بعدى لادقتم النوم أنتم خبرونى مذ بنت عنكم وبنتم
بمراض الجفون من خيد العـ بين وورد الحدود بعدى فنتم
يا أخلاى إن قلبى وإن بـ ان من الشوق عندكم حيث كنتم
فإذا ما أى الإله اجتماعاً فاللنايا على وحدى وعشتم

● أخذت هذا المعنى من قول حاتم :

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت فكن أنت الذى تتأخر
فلم يباشر لذة بعد كتابتها ، حتى رضى عنه المتوكل وصرفه إلى أحسن حالته .

● المعتز وجارية لابن رجاء :

الزبيرى قال : حدثنى ابن رجاء الكاتب قال : أخذ منى الخليفة المعتز جارية كنت أحبها وتحبنى فشرى بها معا فى بعض اليالى فسكر قبلها ، وبقيت وحدها ، ولم تبرح من المجلس هيبة ، فذكرت ما كنا فيه من أيامنا ، فأخذت

(١) المتيم : يقال تامته المرأة أو العشق والحب تيما وتيمته تيمما عبْدته وذلكته ، فهو متيم .

(٢) سلا : نسى .

العود فغنت عليه صوتا حزينا من قلب قريح (١) وهى تقول :

لاكان يوم الفراق يوما	لم يبق للمقلتين نوما
شتت منى ومنك شملا	فسر قوما وساء قوما
ياقوم من لى بوجد قلب	يسومنى فى العذاب سوما
ما لامنى الناس فيه إلا	بكيت كيما أزداد لوما

فلما فرغت من صوتها ، رفع المعتز إليها رأسه والدموع تجرى كالفرند
انقطع سلكه ، فسألها عن الخبر وحلف لها أن يبلغها أملها ، فأعلمته القصة ،
فردها إلى ، وأحسن إليها ، وألحقنى فى ندمائه وخاصته .

● أبو أحمد وجارية له :

وكان لأبى أحمد صاحب حرب المعتمد جارية فكتبت إليه وهو مقيم
على العلوى بالبصرة تقول :

لنا عبرات بعدكم تبعث الأسى	وأنفاس حزن جمّة وزفير
ألا ليت شعرى بعدنا هل بكيتم	فأما بكائى بعدكم فكثير

قال أبو أحمد : فلم يكن لى هم بعدها حتى قفلت من غزاقى ! (٢) .

● مروان وجارية له :

وكتب مروان بن محمد وهو منهزم نحو مصر إلى جارية له خلفها بالرملة :
ومازال يدعونى إلى الصّد ماأرى فأنأى (٣) ويشينى الذى لك فى صدرى
وكان عزيزا أن بينى وبينها حجابا فقد أمسيت منك على عشر
وأنكاهما والله للقلب فاعلمى إذا ازددت مثليها فصرت على شهر

(١) قريح : جريح ، وفى القرآن : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾
[آل عمران : ١٤٠] . (٢) قفلت من غزاقى : رجعت من الغزو .
(٣) أنأى : أبعد ، وفى القرآن : ﴿ أعرض ونأى بجانه ﴾ [الإسراء : ٨٣] .

وأعظم من هذين والله أنسى أخاف بأن لا نلتقى آخر الدهر
سأبكيك لا مستبقيا فيض عبرة ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

● ابن بكار ورجل بالشعر :

الزبير بن بكار قال : رأيت رجلا بالشعر ، وعليه ذلة واستكانة وخضوع ،
وكان يكثر التنفس ، ويخفي الشكوى ، وحركات الحب لا تخفى ، فسألته وقد
خلوت به فقال وقد تحدر دمه :

أنا في أمرى رشاد	بين غزو وجهاد
بدنى يغزو الأعادي	والهوى يغزو فؤادي
يا عليما بالعباد	رُدَّ إلّفى (١) ورقادي

● وقال أعرابي يصف البين (٢) :

أدمت أناملها عضا على البين	كما انشت فرأتني دامع العين
وودعتني إيماءً وما نطق	إلا بسبابة منها وعينين
وجدى كوجدك بل أضعافه فإذا	عنى تواريت قاب الرمح وحينئذ (٣)
وإن سمعت بموتى فاطلبى بدمى	هواك والبين واستعدى على البين (٤)

● وقال آخر :

مالت تودعنى والدمع يغلبها	كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهى باكية :	ياليت معرفتى إياك لم تكن !

● وقال آخر :

إذا انفتحت قيود البين عنى وقيل أتيح للنائى سراح

(١) الإلف : الحبيب ، فهو يطلب من الله أن يعيد إليه ما يمنحه هدوء النفس فيستريح وتنام عيناه
بعد سهر الليالي يشكو الفراق .

(٢) البين : الفراق .

(٣) إذا غبت عنى مقدار الرمح فقد حان أجلى والحين الهلاك وفى القرآن : ﴿ قاب قوسين ﴾ .

(٤) فإذا مت فأنا شهيد الهوى والبين وملك أن تستعدى عليهما وتطلبى الثأر منهما .

أبت حلقاته إلا انقفاً لا ويأى الله والقدر المتاح
ومن لى بالبقاء وكل يوم لِسَهم البين فى كبدى جراح
● وقال محمد بن أبى أمية الكاتب :

يا غريباً يبكى لكل غريب لم يذق قبلها فراق حبيب
عزه البين فاستراح إلى الدمع وفى الدمع راحة للقلوب
ختلته (١) حوادث الدهر حتى أقصده منها بسهم مصيب
أى يوم أراك فيه كما كنت قريباً فأشتكى من قريب
● وقال أبو الطيامير :

أقول له يوم ودعته وكل يوم بعبرته مبس (٢)
لئن رجعت عنك أجسامنا لقد سافرت معك الأنفس
● وقال أبو العتاهية :

أيت مسهداً قلقتا وسادى (٣) أروح بالدموع عن الفؤاد
فراقك كان آخر عهد نومى وأول عهد عيني بالسهاد
فلم أر مثل ما سلبته نفسى وما رجعت به من سوء زاد
● وقال محمد بن يزيد التستري :

رفعت جانباً إليك من الكَلِّ ————— (١) قابله طرفاً كحيلة
نظرت نظرة الصباية لا تم ————— لك للبين دمعها أن يجولا
ثم ولت وقد تغير ذاك الصب ————— بح من خدها فعاد أصيلاً (٢)

(١) ختلته : خدعته .

(٢) مبس : البس محرقة : من لا خير عنده . أو عنده إبلان وشر .

(٣) الوساد : جمع وسادة ، وقلقتا وسادة : كناية عن السهر والأرق .

(٤) الكيلة : الستارة ، وكل ما يوضع على السرير فيحجب النوم .

(٥) الأصيل : آخر النهار ، ويقصد أنه تحول من الإشراق إلى الصفرة !

● وقال يزيد بن عثمان :

دمعة كاللؤلؤ الرطـ
وجفون تنفث السـ

ب على الخد الأسيل
سحر من الطرف الكحيل

إنما يفتضح العاشـ

● وقال علي بن الجهم :

يا وحشتا للغريب في البلد
فارق أحبابه فما انتفعوا
يقول في نأيه (١) وغريته

مد النازح ماذا بنفسه صنعا
بالعيش من بعده وما انتفعا
عدل من الله كل ما صنعا

● وقال آخر :

بانوا (٢) وأضحى الجسم من بعدهم
يا أسفى منهم ومن قولهم
بأى وجه أتلقاهم

ما تبصر العين له فيا
ما ضرك الفقد لناشيا
إن وجدوني بعدهم حيا؟!

● وقال آخر :

أترحل عن حبيبك ثم تبكى
● وقال هذبة العذرى :

عليه فمن دعاك إلى الفراق ؟

بحاجتنا تباكر أو تقوب (٣)
وتخير أهلنا عنا الجنوب
يكون وراءه فرج قريب
ويأتى أهله النائى الغريب

ألا ليت الرياح مسخرات
فنخبرنا الشمال إذا أتننا
عسى الكرب الذى أمسيت فيه
فيأمن خائف ويفك عان (٤)

(١) النأى : البعد والفراق .

(٢) بانوا : بعدوا . فيا : أى ظلًا وذلك كناية عن التحول .

(٣) تباكر : تأتى في الصباح الباكر ، وتقوب : تعود ومنه الإياب .

(٤) العانى : الأسير .

● وقال آخر :

لا بارك الله في الفراق ولا
لو ذبح الهجر والفراق كما
شربت كأس الفراق مترعة^(١)
يا سيدى والذى أوأمله

● وقال حبيب الطائي :

الموت عندى والفسرا
يتعاونان على النفوس
لو لم يكن هذا كذا

● وقال آخر :

شتان ما قبله التلاق^(٢)
هذى حياة وتلك موت

● وقال سعيد بن حميد :

موقف الين مآثم العاشقين
إن في الين فرحتين : فأما
فاعتناق لمن أحب وتقبيـ
ثم لى فرحة إذا قدم النا

وقال أعرابي :

ليل الشجى على الخلى قصير
بان الذين أحبهم فتحملوا

وبلا المحب على المحب يسير^(٤)
وفراق من تهوى عليك عسير

(١) مترعة : مليئة .

(٢) الجمام : بكسر الحاء الموت . والفراق يسوقنا إليه فهو موت معنوى .

(٣) التلاق : التلاقى .

(٤) الشجى والخلى : المشغول ، والخلى : الخالى .

فلأبعث نياحة لفراقهم
ولألبس مدارعا مسودة
ولأذكرنك بعد موتي خاليا
ولأطلبنك في القيامة جاها
فبجنة إن صرت صرت بجنة
والمستهام بكل ذاك جدير
فيها تُلطم أوجهٌ وصُدور
لبس الثواكل إذ دهاك مسير
في القبر عندي منكر ونكير
بين الخلائق والعباد نشور
ولئن حواك سعيها فسعير
والذنب يغفر والإله شكور

● ومن قولنا في البين :

هيج البين دواعي سقمي
أيها البين أقلني مرة
ياخلى الروع نم في غبطة
ولقد هاج لقلبي سقما
كسا جسمي ثوب الألم
فإذا عدت فقد حل دمي (١)
إن من فارقه لم ينم !
ذكر من لو شاء داوى سقمي

● ومن قولنا في المعنى :

ودعنتى بزفرة واعتناق
وتصدت فأشرق الصبح منها
ياسقيم الجفون من غير سقم
إن يوم الفراق أعظم يوم
ثم نادى: متى يكون التلاق ؟
بين تلك الجيوب والأطواق (٢)
بين عينيك مصرعُ العشاق
ليتني مت قبل يوم الفراق

● ومن قولنا فيه :

فررت من اللقاء إلى الفراق
سقاني البين كأس الموت صرفا
فيا برد اللقاء إلى فؤادي
فحسبي مألقيت وما ألاق
وما ظنى أموت بكف ساق
أجرنى اليوم من حر الفراق

(١) أقلني : من عثرني .. خذ يدي .. اجمع بيني وبينها .. ولك أن تفعل بي ما تشاء .. لو فارقتها

(٢) الجيوبُ والأطواق . جمع جيب وهو الفتحة في أعلى الثوب والطورق معروف .

● وقال مجنون بنى عامر :

وإني لمن دمع عيني من البكا
وقالوا : غدا أو بعد ذاك ليلة
وما كنت أخشى أن تكون منيتي

● وقال أبو هشام الباهلي :

خليلي غدا لا شك فيه مودع
فواحزنا إن لم أودعه غدوة
فإن لم أودعه غدا مت بعده
أنا اليوم أبكيه فكيف به غدا
لقد سخنت عيني وجلت مصيبتى
فيايوم لا أدبرت هل لك محبس ؟

● وقال بشار بن برد :

نبت عيني عن التغميض (٢) حتى
أقول وليلتى تزداد طولا
كأن جفونها عنها قصار
أما الليل بعدكم نهار ؟!

● وقال المعتصم لما دخل مصر وذكر جارية له :

غريب في قرى مصر
لليلك كان باليلد
يقاسى الهمم والسقما
ان أقصر منه بالفرما

● وقال آخر :

وداعك مثل وداع الربيع
عليك سلام فكم من ندى
وفقدك مثل افتقاد الديم (٣)
فقدناه منك وكم من كرم

(١) حان أجله : حل .. وحائن : واقع .

(٢) نبت : بعدت ، فلا يغمض لها جفن وفي الشطر الثاني حسن تعليل : أن جفونها عنها قصار ! .

(٣) الدَّيْم : جمع ديمة السحابة الممطرة .